بعض المواقف من احداث جبهة نادو

شهاب أرايي وزرإيت كفل ماريام

ترمجة / محمد عمر ناير

لولا سماع سائق الدبابة المناضل كبروم تلك العبارة شديدة اللهجة التي تفوه بها على عجل قائد سلاح الدبابات والقائلة: " لاتحرقوها" كان هناك ثمة فعل من نوع آخركان يريد أن يقوم به كبروم دونما تباطؤ ، حيث كان في حالة سباق مع الزمن كان قاب قوسين أو أدنى من هذا الموقع ، وأن ذلك كان هو الخيار الأسلم والأفضل وفق تقديرات كبورم التي جادت بها قريحت خبراته وتجاربه . حيث أن كبروم أصبح في حيرة من أمره عندما ولجت دبابتة من نوع (أمفيبيان) في تجويف ارضي على نحو مفاجئ ، الأمر الذي أدى إلى حدوث عطب في أحد محركاتها ، في تلك اللحظات العصيبة لم يكن امام المناضل كبروم وطاقمه خيار آخر سوى فتح مستودع البنزين ومن ثم وإبرام النار عليه ، حتى لا تقع الدبابة فريسة سهلة في يد العدو ، ويستفيد منها في دعم مجهوده الحربي ضد الجيش الشعبي ، ولكن في الثواني الأخيرة من تنفيذ الخطة تدخل قائد سلاح الدبابات على نحو مفاجئ وأصدر الأوامر على طاقم الدبابة بان يصرفوا النظر عن فكرة إحراقها.

وعلى الرغم من أن الخطة التي كانت قد وضعت من قبل الجيش الشعبي كانت تهدف إلى إلحاق الهزيمة بقوات العدو التي كانت تتواجد في هذه المنطقة على أقل

تقدير ، او محو وجودها بشكل نهائئ من المنطقة في أحسن الأحوال ، إلا أن الرياح هبت هذه المرة بعكس إتجاه توقعات الجيش الشعبي ، إلى الحد الذي جعل العدو يتموج يمنة ويسرة كالوحش الجائع الذي يتربص بفريستة متحيناً الفرصة للإنقضاض عليها . إن دبابات الجيش الشعبي التي كانت في طريقها إلى صب جام غضبها على جبهه وقاو ، وذلك من خلال إمطار مواقع العدو بوابل من القنابل وتحويلها إلى جحيم أسود ، لتحتفل في نهاية المطاف بالنصر الذي كان في حكم المؤكد ، ولتصبح بعد ذلك سيد المواقف ، تسرح وتمرح على السهل الساحلي لجبهة شمال شرق الساحل ، إلا أنها لم تحقق اهدافها التي كانت تصبوا إليها رغم الجاهزية والروح المعنوية العالية التي كانت تتمتع بها طواقمها ، وثقتهم الكاملة والغير منقوصة على قدراتهم القتالية وعتادهم الحربي . في غضون ذلك تعرضت إحدى الدبابات التي كان يقودها المناضل كبروم (بكتي) إلى عطب أصاب احد محركاتها كما سبق ذكره ، و لم يكن مصيرها قد تقرر بعد ، هل ستقع في يد العدو أم سيتمكن طاقمها تخليصها من كبوتها ، وذلك عن طريق سحبها إلى مكان آمن وإصلاح ما لحق بها من أضرار ، كانت الإجابة على هذا التساؤل ما تزال في رحم الغيب وفي ذمة تطورات الأوضاع.

إن مسالة إستيلاء العدو على قطعة سلاح تابعة للجيش الشعبي كان أمراً غير مقبول بل ومحرماً البتة ، ولا يمكن التساهل فيه مهما كانت المبررات ، ذلك وفق ادبيات الثورة وتقاليدها المتعارف عليها ، ناهيك عن خسارة دبابة ذات مواصفات قل مثيلها في ذلك الوقت ، ولكن رغم قدسية هذا المبدأ فإن المعارك قد تخلف أحياناً مرارات ، فقد تفقد الأرواح التي هي بطبيعة الحال تأتي مسالة الحفاظ عليها في مقدمة سلم الأولويات ، لأن بقاء ورفاهية العنصر البشري هو هدف وغاية العملية النضالية وجورها . كانت تلك الدبابة ضمن أربع دبابات من نوع (أمفيبيان) يمتلكها الجيش الشعبي في منطقة ماي عطال قد إستولى عليها العدو وكان ذلك في عام 1977 م ، حيث أنه لم يكن آنذاك عود ذراع الجيش الشعبي قد إشتد بعد ، فيما يلي الأسلحة الثقيلة من حيث الكم والنوع ، وقد كانت هذه الدبابة تتسم بميزات نوعية خاصة، ولذلك كانت عملية صيانة مكوناتها بإستمرار أمر في غاية الأهمية ، حيث كانت تحتل موقع سواد العين بالنسبة لطاقمها ، وعلى رأسهم

سائقها ، ومن خصائص هذه الدبابات كانت تقوم بتنفيذ مهام مزدوج في البر والبحر على حد سواء ، وهي من النوع سداسي العجلات ، سوفيتية الصنع ، وقد شاركت في مختلف المعارك سواء كانت هذه المعارك محدودة أو واسعة النطاق ، وذلك ابتداء من العام 1980 م وحتى العام 1984 م. وقد كان سجل هذه الدبابة طيلة هذه الفترة حافل بالإنتصارات والإنجازات ، وكانت مصدر فخر وإعتزاز لقائدها المناضل برخت .

كانت هذه الدبابة قد شاركت في معارك تسني ، وبعد أن وضعت معارك تسني أوزارها ، إنطلقت من ضواحي قلوج عبر سهول بركا ، ومنها إلى مرتفعات جبال الساحل ، إلى أن إستقر بها المقام إلى حين في منطقة عيتارو . ونتيجة لمزاياها النوعية وكفاءتها القتالية وشهرتها التي عرفت بها في مختلف ميادين القتال ، كان الأمر يقتضي أن تكون على أهبة الإستعداد والجاهزية للقيام بواجبات ومهام قتالية أخرى لم يعلن عنها بعد ، ولذلك تم تزويدها بالوقود فور وصولها إلى الموقع المذكور ، وأصبحت جاهزة قبل أن تطأ عجلاتها ورشة الصيانة الكائنة حينها في منطقة حشكب ، وذلك تحسباً لأي طارئ قد يحدث بين الفينة والأخرى ، وبهذا أصبحت رهن إشارة الإنطلاق . إستهلت هذه الدبابة باكورة إنتصاراتها بوضع توقيعها على أولى صفحات سجل عملياتها العسكرية في الربع الأول من عام 1984 م ، وقدحدث ذلك في يوم 19 /3 /1984 م . عندما تقرر مهاجمة جبهة وقاو التي كانت مرابطة في منطقة شمال شرق الساحل قد وقع الإختيار من الوهلة الأولى على دبابتين من نوع انفيبيان ، كان الجيش الشعبي يحتفظ بهما في منطقة الساحل أن يشاركا ضمن صفوف الفصيلة 43 أسلحة ثقيلة ، التي كانت قد أخذت مواقعها في الجناح الأيسر للجبهة ، أما تلك الدبابات التي أتت من بركة إلتحقت هي لأخرى بالفصيلة 42 أسلحة ثقيلة ، لتبدأ هجماتها من ناحية الجناح الأيمن للجبهة وهو الأطول ، ذلك لأنه كان يمتد إمتداد السهل الساحلي. كانت دفاعات جبهة شمال شرق الساحل عبارة عن سلسلة متصلة مترابطة الأجزاء بإحكام ، تمتد من قارورة شمالاً إلى قطان جنوباً بطول 100 كيلو متر، كما كانت تمتد من القيننا غرباً حتى مرسى تخلاي شرقًا مسافة قدرها 70 كيلو متر. كان مقرر وفق الخطة التي تم وضعها أن تبد المعركة في منتصف ليلة 22 /2 ، وذلك بتحريك قوة

قوامها الكتيبة رقم 1 التابعة للواء 23 ، لكي تسيطر تماماً على أوقت ، ومن ثم تدعم هذه الكتيبة في صبيحة نفس اليوم بفصيلة اخرى من سلاح المدرعات . وفي مساء ذلك اليوم اكملت الفصيلة 42 سلاح الدبابات إستعداتها لتغادر بليقات في جنح الظلام ، وبينما كانت الفصيلة تواصل سيرها حدث ما لم تحمد عقباه ، حيث تعرضت الآليات الثقيلة إلى اعطاب ،الأمر الذي عقد مهمة هذه الكتيبة ، وتعود أسباب الخلل الذي طرأ إلى أن هذه الآليات لم يتم تحريكها أو صيانتها لمدة طويلة ، حيث كان يحتفظ بها في مستودع احد المعسكرات في منطقة طبرا ، وتحديد في موقع كان المقاتلون يطلقون عليه (قيح مريت). ومما زاد الأمر سوء كانت تلك الليلة حالكة الظلام ، ونتيجة للأعطال التي كانت تحدث من حين لآخر أصيب أفراد الفصيلة بحالة من الإرتباك والحيرة ، حيث لم يكن هناك تناسق وتناغم بين حركة آلية وأخرى فواحدة تبطئ حركتها ونظيرتها تتقدم بالكاد وقد تصاب احياناً بالشلل التام ، وعلى وجه العموم سادت حالت من الفوضى أوساط الفصيلة ، من حيث سيرورة منظومة التنيسق والتوجيه. ولما شعر بعض أفراد الفصيلة بأن الوقت لم يكن في صالحهم قالوا : "علينا أن نلملم أطرافنا ونواصل السير لكي ننقذ ما يمكن إنقاذه من وقت ، لأنه ليس من المعقول أن نضحي بالزمن كله ، مصداقاً للقول المأثور " ما لا يدرك كله لا يترك جله" . ولكن لم يكن بإمكانهم فعل ذلك لعدم وجود قادتهم في الموقع المعني ، ذلك لأن القادة كانوا يتحركون هنا وهناك بحثاً عن وسيلة ما يمكن أن تنتشلهم من نهاية نفق هذه المعضلة التي أصبحت حجر عثرة أمامهم وعاقت تقدمهم ، لتحول بينهم وبين تنفيذ مهامهم في الوقت والمكان المحددين .

وهكذا بدأت أستار الظلام تتلاشي شيئاً فشيء إلى أن أصبح الوقت نهاراً جهاراً قبل أن تتمكن تلك الفصيلة من الوصول إلى أوقت ، التي كان من المفترض أن تصل إليها في الثلث الأخيرة من ليلة 22 / 2 ، وذلك حسب الخطة التي كانت قد وضعت سلفاً ، الأمر الذي جعل ظهر الكتيبة 1 التابعة للواء 23 والتي كانت قد إستولت على أوقت في منتصف ليلة 22 /2 مكشوفاً ، هذه التطورات دفعت العدو الذي كان قد ولى الأدبار هرباً أمام الهجوم الكاسح والمباغت الذي شنته عليه الكتيبة رقم 1 في عتمة الظلام مكبدة إياه خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد إلى أن

يهاجم من جديد مواقع تلك الفصيلة التي سبق أن شتت شمله ، وبالفعل بدأت قوات العدو تتقدم نحو أوقت مدفوعة بروح الإنتقام والثأر، نتيجه الهزيمة النكراء التي تعرضت لها ، مواصلة الزحف بإتجاه أوقت تحت غطاء وابل من الأسحلة الثقيلة . والحال تلك ، إضطرت الكتيبة 1 إلى الإنسحاب لتطوي أقدامهما مرة أخرى تلك السهول التي يمتد مداها إمتداد الأفق المترامي الأطراف ، والتي سبق ان كابدت مشاقها ليلة 22 / 2 في طريقها إلى اوقت لتعود أدراجها إلى دفاعاتها التي إنطلقت منها نحو مواقع العدو في اوقت ، وقد تركت قيادة الكتيبة المجال مفتوحة أمام مكونات الكتيبة أثناء الإنسحاب ، كل بالكيفية التي يراها ملائمة ، وبالإتجاه الذي يمكن أن يجنبه الوقوع لقمة سائغة في فم العدو ، ذلك رغم الشعور بالمرارة الذي كان يحس به أفراد هذه الكتيبة ، ونتيجة تلك الأحداث الدراماتيكية المؤلمة والغير متوقعة التي حدثت بين ليلة وضحاها ، وفي ظلل هذه الأوضاع كان لابد من محاولة حماية خلفية الكتيبة أثناء الإنسحاب ، ولذلك دفعت الكتيبة بكوكبة من خيرة افرادها للقيام بهذا الواجب ، فمن هؤلاء من نال شرف الشهادة ، ومنهم من تكمن من الإنسحاب بعد أن أدى مهامه بجدارة وإقتدار ، أما افراد الفصيلة 42 أسلحة ثقيلة الذين لم يكن بمقدورهم الوصول إلى أهدافهم في المكان والزمان المحددين ، أصبحوا حيارا ومسلوبي الإرادة ، لا يدرون ماذا يفعلون ، فقد قضوا ليلة كابوسية ، حيث تقطعت بهم السبل ، وهم في طريقهم إلى أوقت حسب الخطة ، وذلك نتيجة الاعطاب التي منعت الآليات من قطع المسافة في الوقت الذي كان ينبغي أن تتمكن خلاله من الوصول إلى مسرح العمليات.

في أتون تلك المعركة الشرسة كان المناضل كبروم قد بذل قصارا جهده من أجل أن تصيب قذائف تلك الدبابة التي كان يقودها مواقع هامة وحيوية في عمق الجبهة ، مكبدة العدو خسائر لم يحسب حسابها ، الأمر الذي من شأنه أن يحول فرحته العدو وإحساسه بنشوة إنتصاراته الآنية إلى نكبات وخيبات للأمل ، وبالتالي تصبح هذه الإنتصارات مجروحة . وبينما كان كبروم يغير دبابته من موقع إلى آخر على النحو الذي يجعل الهدف متاحاً بل ومهيئاً أمامه، وقع المحظور حيث ولجت الدبابة في منحدر تعرض على إثره أحد محركاتها لخلل جسيم ، مما جعلها خارج نطاق مسرح العمليات ، في بادئ الأمر حاول المناضل

كبروم أن يتفحص موطن الخلل، لعله يستطيع إصلاحه ، إلا أنه توصل في نهاية المطاف إلى نتيجة مفادها أنه ليس بمقدوره فعل شيء ، وأن الأمر فوق طاقته ، وذلك لجسامة حجم الضرر الذي تعرضت له الدبابة، لذلك قرر أن يفتح مستودع الوقود ويبرم عليها النار، ولكنه قبل أن يقدم على إتخاذ هذه الخطوة كان لزاماً عليه أن يستشير قائد المجموعة ، لذلك ذهب بمعية الممرض المشرف على المجموعة إلى الموقع الذي كان يوجد به آمر تلك المجموعة بغرض إطلاعه على الموقف،على أن تكون الخطوة التالية التقيد بالقرار الذي يراه قائد المجموعة وجيهاً وفق تقديراته الخاصة. عندما إستمع آمر الكتيبة للإفادة التي أدلى بها أمامه كل من سائق الدبابة والمشرف الصحي للمجموعة قال :
" أتركوها وشأنها" إذا وجدنا متسع من الوقت سوف نقوم بسحبها إلى مكان آمن ، ومن ثم نفكر في الكيفية التي يمكن من خلالها إصلاح الخلل." ولذلك أحجم طاقم الدبابة عن الخطوة التي كان يرى أنها صائبة بحكم أنهم مقاتلون ميدانيون يعرفون جيداً مآلات مثل هذه المواقف في نهاية المطاف. ولما تبين لأفراد المجموعة أن الأوضاع العسكرية على الميدان ليست على يرام ، وأن مجريات الأحداث قد بدأت بوصلتها تتحول تدريجياً لمصلحة العدو، كان لا مناص من التفكير ملياً في خيارات وبدائل أخرى .وبعد أخذ ورد بين أفراد المجموعة لبعض الوقت أجمعت وجهات النظر على أنه من الحكمة الإنسحاب أو التراجع تكتيكياً نحو المواقع الخلفية ، وأن ما يتعلق بمسألة سحب الدبابة وإصلاحها حسب فكرة قائد الكتيبة ، اصبحت الآن غير واردة، نسبة لمستجدات الأوضاع العسكرية ميدانياً. كان أفراد المجموعة يشعرون بمرارة بالغة الأثر وحزن عميق ، وهم يتراجعون تاركين خلفهم هذه الدبابة التي ذاع صيتها في مختلف ميادين القتال ، والتي كانت لها صولات وجولات في العديد من الجبهات ، حيث كان وقع الألم الذي نتج عن خسارتها أقسى على أنفسهم من فشل المعركة نفسها ، كما أن لوعة فقد هم وحزنهم الشديد عليها لم تكن أقل إيلاماً من فقدهم تلك الثلة من الشهداء الأفذاذ ، الذين روت دمائهم تلال وسهول منطقتي أوقت وكيراي ووريت جثامينهم تربتها الطاهرة . كان طاقم الدبابة الذي يتكون من سائقها كبروم وبقية أركان حربه المتمثلين في كل من طليقا ، بنت جانهوي وودي منقشا الذين أجادوا بل وأتقنوا مهنة فنون القتال في كنفها أكثر تأثراً من غيرهم ، لأنها كانت بالنسبة لهم بمثابة الأم الرؤوم التي أحسنت إعدادهم منذ نعومة أظافرهم لمواجهة الصعاب مهما كان حجم حدتها وضراوتها . وفي أعقاب هذه الأحداث المؤسفة أنكب الجميع في تقييم عملية الهجوم والتعرف على

مواطن الضعف والإخفاقات التي صاحبت هذه العملية،من خلال مراجعة متأنية للخطط والإستراتيجيات والنقد والنقد الذاتي بكل تجرد وشفافية ، وذلك عبر النقاشات والحوارات التي تخللت الإجتماعات والسمنارات والندوات التي إستغرقت شهراً كاملا ، كل ذلك من أجل تلافي تكرار الأخطاء التي صاحبت العملية بشكل عام، بالإضافة إلى تجويد وتطوير فعالية الأداء الميداني والأمني والسياسي في قادمات الأيام، وذلك لجدلية الإرتباط الوثيق بين هذه الأضلاع الثلاث التي تقوم عليها المعركة ، فإذا حدث خلل ما في احد عناصر هذه المعادلة لاشك أن العملية برمتها ستتدحرج نحو المجهول. لم يكن لدى المقاتلين خلال مدة الدراسة التقييمية التي إستمرت لمدة شهر أغطية أو ملابس بإمكانها أن تقيهم وطأة البرد الغارس أثناء الليل، سوا ملابسهم العادية التي يرتدونها أثناء النهار . حيث كانوا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ، وكان المناضل كبروم يرى أن تعرضه جسده للسعات البرد يمثل أقسى أنواع العقاب الذي يمكن أن يتعرض له الكائن البشري،وكان يتمنى بإستمرار أن تنتهي معاناته في أسرع وقت ممكن ليتحرر من إستخدام قطعة الخيش البالية التي كان يغطي بها جسمه في كل ليلة عندما يود أن يخلد إلى النوم ، حيث كان يقضي جلها وهو يتقلب.إن قطعة الخيش المتهالكة التي أكل الدهر عليها وشرب ، لم تكن تسمن ولا تقي من برد ، هذه المعاناة جعلت المناضل كبروم يرفع إبتهالاته إلى السماء آناء الليل وأطراف النهار من أجل أن تندلع المعارك من جديد ، لأنه كان يرى فيها المنغذ والمخلص الذي يمكن أن يضع حداً لتلك المأساة التي كانت تعاوده كل ليلة.عندما كان كبروم يتكر بعض المقتنيات القيمة التي تركها داخل دبابته يسرح بذاكرته بعيدا ، وكان يفضل في مثل هذه الظروف أن يبقى لوحده بعض الوقت في حالة صمت مطبق وعزلة تامة. ولما لاحظت إحدى رفيقاته وتدعى استير إنقماسه في أجواء العزلة الموحشة والمبالغة في التفكير بطريقة غير معهودة ، قالت له بما يشبه الدعابه "هل إستمرأت هذه الوضعية؟، مابال التفكير قد إستبد بك وأصبحت مكبلاً بقيود العزلة ، ما الخطب ؟ هل أنتأنت جائع؟ " هذ ه العبارات إختطفته من عوالم التوهان التي كانت تحلق به في فضاءات غير متناهية من الخيال لتعود به إلى عالم الحقيقة ، حيث قال بلهجة لونت بمسحة من الحيأء والحرج ألم أكن على مايرام ، قالها وكأنه قد إستيغاظ لتوه من غفوة نوم عميق بطريقة مزعجة ، في الأثناء حاول أن يمثل دور المسرحي البارع ، وذلك من أجل تغيير مجرى الحديث متظاهراً بأن ذاكرته قد عادت به إلى تلك الأيام الخوالي تلت تحريرمدينة تسني ، حيث السعة والعيش

الرغيد ، ثم قال وهو يتحسس معدته : لقد خوت هذه ونال منها العوز وشظف العيش ما نال.

قالت أستير موجهة حديثها إلى كبروم بما يشبه الدعابة "هل استمرأت هذه الوضعية؟ ، ما بال التفكير قد إستبد بك إلى الحد الذي جعلك مكبلاً بقيود العزلة ، ما الخطب ؟ هل أنت تعاني من وخزات الجوع " هذه العبارات إختطفته من عوالم التوهان التي كانت تحلق به في فضاءات غير متناهية من الخيال لتعود به إلى عالم الحقيقة ، حيث قال بلهجة لونت بمسحة من الحيأء والحرج ما بي ؟ ألم أكن على ما يرام ؟ قالها وكأنه قد إستيقظ لتوه من غفوة نوم عميق بطريقة مزعجة ، ومن ثم حاول أن يمثل دور المسرحي البارع الذي يجيد ترجمة حلقات السيناريو على خشبة المسرح بمهنية وإقتدار ، وذلك حتى لا يبوح بحقيقة الأمر الذي كان بصدد التفكير فيه ، حيث تعلل بأن ذاكرته قد عادت به إلى تلك الأيام الخوالي التي تلت تحرير مدينة تسني ، حيث السعة والعيش الرغيد ، ثم قال وهو يتحسس معدته ، قد خوت هذه ونال منها العوز وشظف العيش مانال.

ثم إستطرد يقول " إذا أحاطت بنا سرادق الجوع من كل جانب ماذا بوسعنا أن نفعل ؟ لم يدخر شعبنا وسعاً حيث ظل كدأبه يقاسمنا لقمة العيش دون من ولا أذى ، في الوقت الذي هو في أمس الحاجة إليها، حيث أن آلة العدو المدمرة التي إستهدفت الضرع والزرع ، فرضت عليه حالة من عدم الإستقرار، الأمر الذي جعله يقع تحت طائلة النزوح والتشرد ، والأدهى والأمر من كل ذلك فقد تعرضت الكثير من القرى والنجوع وعدد من البلدات في طول البلاد وعرضها إلى إبادة جماعية بطريقة تقشعر لها الابدان ، وبالمثل لم يكن سكان المدن أحسن حالاً من أهل الريف ، حيث كانوا ضحايا الإرهاب الأسود ، فقد كانت أجهزة أمن العدو تقتحم المنازل وتروع المواطنين بتهمة تعاونهم مع الثورة ، وقد يكون ذلك بدليل أو بدونه . كل ذلك كان يحدث تطبيقا لشعار سياسة العدو الذي أعلنه في منتصف ستينيات القرن الماضي والقائل: " ما يمهنا من إرتريا أرضها وليس شعبها. " ثم أردف المناضل كبروم قائلاً بأسلوب ينم عن السخرية البريئة : لقد سلمنا صفيحة السمن التي تبرع بها نفر كريم من جماهيرنا الوفية إلى محاري ، ومن ثم جئنا إلى هنا خالييي الوفاض كما ترين ، حيث أن حالنا يغني عن سؤالنا " وهنا بدأ يتحسس معدته مرة أخرى إمعان في المكر والدهاء من أجل أن يحول إتجاه تفكير أستير

وإلهائها بأمور بعيدة كل البعد عن الشأن الذي كان قد إستحوذ على فكره في تلك اللحظة التي داهمته خلالها ، بهدف كسر حالة الجمود والعزلة التي كان غارقاً فيها بكل جوارحه ، إلا أنه ربما كان يحس في قرارة نفسه أنها قد أفسدت عليه خلوته وقطعت حبل افكاره . حاولت استير بدورها أن تجاري وجهة رواية كبروم وتسبح بنفس اتجاه تيار أفكاره الذي ربما نسج بعض عناصره من وحي خياله ، حيث قالت : " نعم ، أصدقك القول " لأنها تذ كرت ذلك الوعاء الخاص بحفظ السمن الذي كانت تفتحه مراراً وتكرار على مدار أيام الأسبوع لتأخذ منه قليل من السمن الذي كانت تحلي به الطعام ، حيث كان السمن يضفي إلى الوجبات نكهة ولذة خاصتين ، وأضافت أستير قائلة " والحديث موجه بطبيعة الحال إلى كبروم : لقد إستمتعنا بتلك الأيام ، ليتها تعود مرة اخرى ، في الواقع كان الجميع آنذاك قد أستطاب وجبات الطعام ، ربما لم تكن هذه الصفيحة التي تحسرت على فقدانها ليست من نصيبنا " وقد كانت حالة الغضب التي أحست بها أستير على خسارة صفيحة السمن تفوق مشاعر الحزن التي أبدتها أثناء فقدان فصيلتها تلك الدبابة الشهيرة.

في تلك الأيام كان القائد الأعلى لقوات الدرق في جبهة نادو يتبجح بتلك الإنتصارات الآنية التي حققتها قواته ، حيث أصيب بحالة من السكر إلى حد الثمالة ، وأصبح يردد شعارات الدرق الجوفاء الخالية من أي مضمون أخلاقي وسند قانوني ، حيث ظل الجنرال حسين يردد هذه الشعارات لبعض الوقت ، وقد توهم أن عملية كسب قواته لمعركة بعينها قد حسمت الأمر كله وقضى على الجيش الشعبي مرة وإلى الأبد ، ولم يدر بخلده إن هذه الإنتصارات ربما تتحول في فترة وجيزة إلى خسائر مدوية ، وسط هذه الأهازيج والفنطازيا الفارغة أمر الجنرال بإلتقاط صور فوتوغرافية لبعض القطع من الأسلحة الخفيفة التي كانت بحوزة الشهداء الذين سقطوا في تلك المعركة ، بالإضافة إلى إحدى الدبابات التي تم الإستيلاء عليها من قبل العدو.

وفي مساء يوم 19 من شهر فبراير دعى الجنرال حسين قواته إلى إحتفال كبير بمناسبة إنتصاراته المزعومة ، حيث إكتملت الإستعدادت وذبحت الذبائح ، كما تقرر أن تشتمل موائد المناسبة على توفير ما لذ وطاب من مختلف أصناف الطعام والشراب ، وتهيئة أجواء الترفيه ، وقد صدرت الأوامر على أن يعقد الإحتفال في كل من منطقتي سراس وكنت ، في الأثناء شوهد الجنرال وهو يطوف على العديد

من مواقع تواجد قواته بغرض دعوتهم للمشاركة في هذه المناسبة التي أعتبرها حدثاً تاريخياً فريداً من نوعه.

وفي تلك الآونة كان الجيش الشعبي قد فرغ من وضع اللمسات الأخيرة لشن هجوم واسع النطاق على جبهة وقاو مرة أخرى ، ولكن بخطط وإستراتيجيات نوعية تختلف عن الهجوم السابق ، فقد كانت الأنظار موجهة آنذاك إلي سلاح المدرعات ، حيث كانت الآمال معقودة عليه بأن يكون له هذه المرة دور حاسم يضع حد لعجرفة العدو وصلفه ، وبالفعل كان سلاح الدبابات عند حسن ظن جماهيره ، فقد تقدم بخطة هجومية محكمة تتلافى الأخطاء التي حدثت في الهجوم الأول. وتتمثل الخطة في الآتي : أن تتم عملية الهجوم في وضح النهار ذلك لأن الهجوم أثناء الليل لا يمكن سلاح الدبابات من تنفيذ مهامه كما ينبغي ، ولا يحقق الأهداف المرجوة منه بالشكل والكيفية التي تمكن القوات من تحقيق أهدافها والوصول إلى مراميها ، أن يكون تنسيق الأداء وتكامل الأدوار بين سلاح المدرعات وقوات المشاة على أعلى المستويات ، أن تشن هذه القوات مجتمعة الهجوم على العدو في آن واحد ، وبضربة واحدة بالقدر الذي يمكن ان يخلط أوراق العدو ويخلق حالة من البلبلة والارتباك في صفوفه ، لأن إنطباع الصدمة الأولى يمكن أن يحدث تصدع في بنيته المعنوية ويؤدي إلى سيادة حالة من الريبة وعدم الثقة في منظومته الأمنية والإستخباراتية .

إن عملية نقل قوات المشاة إلى مسرح العمليات بواسطة الدبابات حتى لا يتعرض أفرادها للإعياء والارهاق أثناء النهار ، خاصة وأن المسافة التي سوف تقطعها القوات على طول السهل كانت محفوفة بمختلف صنوف المخاطر التضاريسية والمناخية والأمنية ، جعلت قوات المشاة في حل من تجشم المشاق وعناء قطع هذه المسافة التي لا يستهان بها مشياً على الأقدام ، كما أن حمل هذه القوات أرضاً كان له دور هام في تيسير مهام هذه القوات بشكل عام.

وهكذا إكتملت الإستعدادت وأصبح الجميع في حالة إستنفار قصوى وجاهزية تامة ، و لم يتبق شيء سواء إطلاق اشارة بدء الهجوم . وفي يوم 19 من شهر مارس وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهراً بدأ تحرك قوات الجيش الشعبي بإتجاه مواقع تواجد قوات العدو في جبهة نادو ، في هذه الأثناء كانت تعابير وجوه المقاتلين

الذين كانوا مصممين على أخذ الثأر ورد الإعتبار للجيش الشعبي على الخسائر البشرية والمادية التي تكبدها في الهجوم الأول بادية بوضوح .

وكانت مهام المناضل كبروم في هذه المواجهة قيادة إحدى المركبات من نوع (ماك) ، حيث كانت تلك المركبة تقوم بسحب مدفع من عيار 120 مليمتر ، وكأن لسان حال كبروم في هذه اللحظات كان يردد شعار الثائر الذي لا يرى في الوجود شيء أسمى من بلوغ هدفه النبيل أو الإستشهاد، والحال هذه كان من العسير عليه كبح جماح سلطان هذه المشاعر التي كانت تتلاطم في دواخله كأمواج شاطئ بحر هائج يترنح في حالة مد وجزر جراء عواصف هوجاء . إنها مشاعر الروح الوطنية الخالصة التي تتسم بصفاء الروح ونقاء السريرة وأصالة المعدن الذي لا يقبل أن تعلق به شائبة يمكن أن تفسد بريقه ولمعانه.

بدأ الجيش الشعبي هجومه الخاطف الذي كان بمثابة ريح عاتية في قوته ، ولمحة برق في سرعته ، فقد تسنى له في فترة وجيزة القضاء على قوات العدو، التي كنات تتمركز على الشريط الممتد من ألقينا إلى اوقت وعبرها إلى كيراي، ونتيجة للضغط الكبير الذي مارسه الجيش الشعبي على قوات العدو عبر القوات المشتركة التي كان قوامها سلاح المدرعات وقوات المشاة ، أضطر العدو أو بالأحرى أجبر على سحب معظم قواته للإحتفاظ بها في مرسى تخلاي. كانت اليد العليا في هذا الهجوم للجيش الشعبي، حيث كانت سطوته واضحة بجلاء كوضوح الشمس في كبد السماء ، بحيث كان لا يمكن ان ينكر هذه الحقيقة إلا مكابر، ظلت الوحدات الميدانية للجيش الشعبي في هذه المعركة تتحكم في مجريات العمليات العسكرية على ارض الوقع ، لدرجة أنها بدأت تحدد أين ومتى تبدأ أو تنتهي المعركة، لأنها إستفادت من مراجعة الخطط والإسترتيجيات السابقة التي كانت قد تخللتها بعض الثغرات والتقديرات الخاطئة ، التي إستغلها العدو في الهجوم الأول ، الأمر الذي مكنه من تحقيق بعض المكاسب على حساب الجيش الشعبي .

ولما تيقن العدو من أنه لا محال سيخسر هذه المعركة ، ليس هذه وحسب، بل سوف يكون عرضة لخسائر كبيرة مادية وبشرية لا يمكن تحملها، وأنه سوف لا يجني من حشد قواته وحشرها في مرسى تكلاي سوى الهزيمة تلوى الأخرى ، وأن مرسى تكلاي سيكون عليه نذير شؤم وليس بشير نصر، فضل أن تتوجه جحافل قواته الهاربة إلى مرسى قلبوب لعله يجد ملاذاً آمناً هناك ، وبينما كانت

قواته في طريقها إلى مرسى قلبوب وقعت في حبائل شراك نصبها خيوطها الجيش الشعبي بدقة وإحكام ، لتجد هذه القوات نفسها وسط حقل من الدبابات يحيط بها من كل جانب ، وهنا طار صواب قادة قوات الدرق ودب الذعر والفزع بين جنوده ، وضاقت بهم الأرض بما رحبت ، الأمر الذي أدى إلى إنفراط عقد منظومة المعلومات بين مختلف مستويات الوحدات المقاتلة التابعة لجيش العدو، المتمثلة في شبكات إصدار الاوامر وتلقي المعلومات ، وقد تشتت شمل قوات العدو وفر العديد منها هرباً بجلده إلى حيث تقوده أقدامه ، بحثاً عن موطئ قدم يضمن له النجاة من هذا الجحيم المقيم ، مصداقاً لقول أحدهم عندما تعرض لمثل هذا الموقف وفضل أن يبقى على قيد الحياة حيث قال : " لو كانت لدي مهجة أخرى لجدت بها لكنها خلقت فردا فلم أجد."

كانت هذه المعركة مصيرية لكلا الجانبين ، حيث كانت تمثل بالنسبة للعدو مسألة موت أو حياة ، ذلك أن بعض وحدات جيش العدو حاولت في بادئ الأمر أن تقاوم بكل ما أوتيت من حول وقوة إلى درجة التشابك بالأيدي ، إلا أنها لم تصمد طويلاً أمام صلابة وإصرار الجيش الشعبي على إنتزاع النصر مهما كانت تكاليف هذه المواجهة ، حيث ولت بقيا فلولها هاربة أمام الضربات المتلاحقة التي تعرضت لها من قبل الجيش الشعبي ، أما من ناحية الجيش الشعبي فكانت هذه المواجهة بمثابة تتويج للإنتصارات التي سبق أن حققها في كل من اوقت ومرسى تكلاي من جهة ومن جهة أخرى فإن سقوط مرسى قلبوب علاوة على مرسى تكلاي في يد الثوار كان يعتبر علامة فارقة لسيطرة الجيش الشعبي على كل شواطئ منطقة شمال شرق الساحل.

وفي تمام الساعة الواحدة من ظهيرة ذلك اليوم ، وقبيل إعلان إنتهاء هذه المعركة بالإنتصار الساحق الذي حققه الجيش الشعبي على قوات العدو ، نزل المناضل كبروم على جناح السرعة من تلك المركبة التي كان يقودها، ومن ثم إتجه مهرولاً ناحية ذلك العدد المقدر من الدبابات ، الذي كان العدو قد تركه أثناء تولي قواته الأدبار هرباً. ولحسن الطالع وجد من بين هذه الآليات دبابته وهي رابضة على شاطئ البحر ، وكان العدو قد استولى عليها في معارك أوقت ، لحظة تعرضها لعطل فني ، ولم يجد على إثره طاقمها الوقت الكافي لإصلاحها ، بسبب تسارع وتيرة المعارك التي كانت تميل كفتها لصالح العدو. لقد أرتبط المناضل كبروم وجدانياً بهذه الدبابة ، حيث عانى الأمرين وتجرع كأس الحسرة

والندامة على فقدانها ، وكان كثيراً ما تنتابه حالة من الإكتئاب الحاد كلما عاوده طيف ذكرياته معها.

لحظة إقتراب كبروم من الدبابة وجد بابها مواربا ً ، وفي الحال إندفع إلى داخلها وجلس على الكرسى ، ومن بعد قام بمحاولة فحص الموتور للتأكد عما إذا كانت بحالة جيدة وهو المطلوب ، وإذا كان الأمر غير ذلك يسارع من فوره ببدء عملية الصيانة ، وكانت تلك المفاجئة السارة ، حيث وجدها كبروم وهي بحالة جيدة ، فإنطلق بها وهو مستبشراً لتطوى عجلاتها المسافات بكل سهولة وأريحية تامة ، وقد شاركه فرحته رفاقه الذين شاهدوا هذا الموقف ، ملوحين بشارات النصر تعبيرا عن العودة الحميدة لهذه الدبابة لتلتحق من جديد بصفوف الجيش الشعبي وتنخرط كدأبها في مهام أخرى جديدة.

لقد شعر كبروم بتأنيب الضمير نتيجة هذا التصرف الذي أقدم عليه قبل أن تعلن رسمياً نهاية المعركة ، حيث إعتبر هذا التصرف غير مسئول ، ويعد نوع من الخطل والتهور ، ولذلك أوقف الدبابة ومن ثم فتح كابينتها لأخذ بعض المقتنيات التي كان قد تركها في الدبابة كالرداء الذي كان يرتديه وقطعة صابون ، لكنه لم يجد شيئا آخر كان بصدد البحث عنه ، وفجأة توقف برهة من الزمن ، يبدو أن هذه الشيء كان ذا قيمة خاصة ، لأن عدم وجوده ترك في نفسه أثر سلبي. وأن الضالة المفقودة كانت تلك الصفيحة المليئة بالسمن ، التي كان قد تحصل عليها عند تواجد وحدته في منطقة قلوج. إلتفت كبروم إلى زملائه قبل أن يستفيق من الصعقة التي إجتاحت جسده نتيجة فقدانه السمن قائلاً : " أيها الرفاق فليكن عشاء كم اليوم هو تلك الفرحة التي عمت وجوهنا وأثلجت صدورنا وقرت أعيننا ، بمناسة الإنتصارات الرائعة التي أحرزها الجيش الشعبي في جبهة نادو في كل من أوقت ، ومرسى تكلاي ، لأن صفيحة السمن التي كنا نتوقع أن نجد فيها ولو القليل اليسير من السمن فقد قضى عليها هؤلاء الهمج وفروا هاربين إلى غير رجعة.